قصص عربية

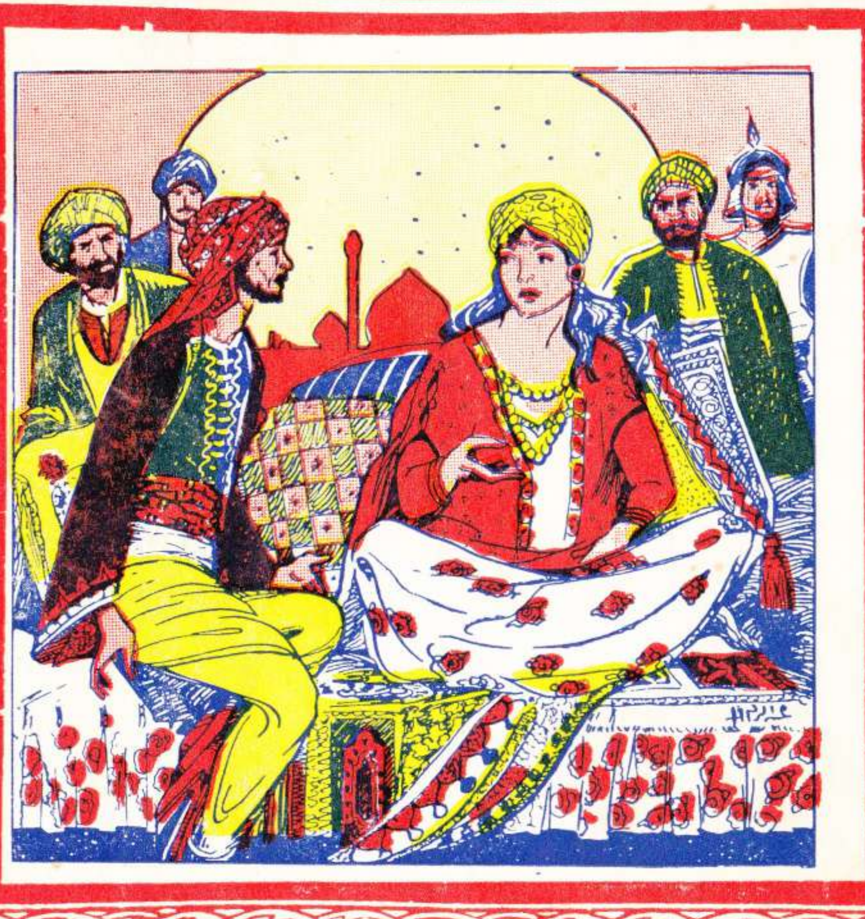

المَلِكُ المخْدُوع

قصص عربية

الملك المخدوع

٢

تأليف

محمد أبو الفضل ابراهيم **عبد المجيد قطامش**

يطلب من :

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى "الفجالة"
سعيد جوده السحار وشركاه

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقى "الفجالة"

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذه سلسلة من القصص العربية ، اخترناها مما زخرت به كتب الأَدب والتاريخ ؛ من أَخبار العرب وأَيامهم ، وما وقع فى قصورهم وخيامهم ، وما تناقلته الأَلسنة فى مجالسهم وأَسمارهم. ثم صَغناها فى أَسلوب سهل ، قريب من الفطرة ، بعيد عن الابتذال والغموض .

وإنا لنرجو أَن يحتذى أَبناؤنا العرب ما تضمنته هذه القصص ؛ من مثُل أَخلاقية رفيعة ؛ كالوفاء بالوعد ، والعدل ، والكرم ، والشجاعة ، وحماية المستجير ، وإغاثة الملهوف ..

كما نرجو أَن تدعوهم هذه القصص إلى القراءة ؛ بما فيها من حوادث شائقة ، وسرد جذاب ، وحوار ممتع .

ولعل أَهم ما نرجوه من وراء هذه القصص العربية أَن نعرض على أَبنائنا صورا من تاريخنا الحافل ، ومثلا من ماضينا المجيد ، ذلك أَن الأُمة العربية تجتاز الآن عصرا من أَزهى عصورها ، عصر بعث عربى ، ووعى عربى . ومن واجبنا أَن نتدارس هذا التاريخ ، ونعتنق هذه المثل ، ونسير فى نهضتنا على هدى من عروبتنا الأَصيلة .

المؤلفان

الملك المخدوع

١

جَلسَتِ « الزَّبَّاءُ » مَلِكَةُ الجزِيرةِ ذَاتَ صَبَاحٍ عَلَى عَرْشِهَا ، واستَدْعَتْ وزرَاءَهَا ، فَجَلَسُوا بيْنَ يدَيْها . وأَخَذَتْ تَتَحدَّثُ مَعَهُمْ فِى شُئُونِ الْممْلكَةِ الْمُخْتَلِفَةِ . وأَبْدَتِ الْملِكَةُ فِى أَثْناءِ حَدِيثِها اهْتِمامًا خَاصًّا بِالْجَيْشِ الَّذِى كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تُقَوِّيَهُ لِتَنَالَ بِهِ ثَأْرَ أَبِيهَا الذِى قتلهُ « جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ » مَلِكُ الْحِيرَةِ .

وَقَالت الزبَّاءُ ، وَهِىَ تَتَحدَّثُ عنِ الْجَيْشِ ، وَعَنِ الْأَخْذِ بالثَّأْرِ :

– إننِى لَنْ أَنْسَى أَبَدًا جَذِيمَةَ الْأَبْرَشَ ، لَنْ أَنسَى أَنَّهُ قَتَلَ أَبِى ، وفَجَعَنِى فِيه ، وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ ، مَهْمَا كَلَّفَنِى الْأَمْرُ . ولَنْ يَطِيبَ لِى مُقَامٌ ، أَوْ يَسْتَرِيحَ مِنِّى خَاطِرٌ ؛ حَتَّى أَنَالَ ثَأْرِى مِنْهُ ، وأَشْفِىَ ما بِنَفْسِى مِن حِقْدٍ دَفِين . إنَّ قَتْلَ جَذِيمَةَ هُوَ أَمَلِى فِى الْحَيَاةِ !

ثُم الْتَفَتَتْ إلَى قَائِدِ جيْشِهَا وقَالتْ لَهُ :

– أَعِدَّ الجيْشَ ، وَجَهِّزْهُ بِالْأَسْلِحَةِ والْعَتَاد .

وانْصَرَفَ الْقَائِدُ ، فَجَهَّزَ الْجَيْشَ ، وسَلَّحَهُ ، وأَعَدَّهُ ؛ حَتَّى أَصْبَحَ قَوِيًّا مَكِينًا .

وَرَأَت الزَّبَّاءُ بَعْدَ ذَلكَ أَنْ تَصْنَعَ حِيلَةً تَسْتَقْدِمُ بِهَا جَذِيمَةَ إِلَى بَلَدِهَا ، لِيَكُونَ مَقتَلُهُ عَلَى مَرْأًى مِنْهَا ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِرِسالة تَطْلُبُ فيهَا أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهَا ، وَقَالَتْ فِيهَا :

ـ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّك قَتَلْتَ أَبِى ، وامْتَلَأَ قَلْبِى بِالْحُزْن عليْه زَمَانًا ؛ وقدِ احْتَمَلْتُ بعدَهُ أَعْبَاءَ الْمُلْكِ وَمَتَاعِبَ الحُكْمِ ؛ وَلَكِنِّى مَعَ الْأَيَّامِ وَجَدْتُ التَّاجَ ثَقِيلًا عَلَى رَأْسِى ؛ وَمُبَاشَرَةَ شُئُونِ الرَّعِيَّةِ أَمْرٌ لَا تَصْلُحُ مَعَهُ النِّساءُ . وَقَدْ طَمِعَ فِىَّ كُلُّ مَنْ حَوْلِى ، وخَشِيتُ عَلَى مَصِيرِ بِلَادِى ؛ فَرَأَيْت بعْدَ طُولِ تَفْكِيرٍ وَتَدْبِيرٍ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرِى ؛ فإِنْ قَبِلْتَ أَنْ أَكُونَ لك زَوْجًا ، فإِنِّى أَكُونُ سعيدَةً حقًّا ؛ وحِينَئذٍ تَخْلِطُ مُلْكِى بِمُلْكِكَ ، وَتُصْبِحُ مَلِكًا عَلَى الْبَلَدَيْنِ ؛ وحاكمًا لِلْقُطْرَيْنِ ، وَتَنْقَطِعُ آمَالُ الطَّامِعِينَ والرَّاغِبِينَ ، وتَرْهَبُكَ الْعَرَبُ جَمِيعًا .

أَمَّا ما كَانَ فِى صدْرِى مِنَ الْحقْدِ عَلَيْكَ ، فَقَدْ ذَهَبَ مَعَ الْأَيَّام ، وَامَّحَى ما بنَفْسِى ؛ وَرُبَّمَا كَانَ قَدْ حَلَّ مَكانَهُ الإِعجابُ بشَجَاعتِكَ وبُطُولَتِك ! وهَأَنَذَا قَدْ وَضَعْتُ بين

يَدَيْكَ نَفْسِى وَعَرْشِى !

وَحَملَ رَسُولُ الزَّباءِ الرِّسالَةَ إِلَى جَذِيمَة .

فَلَمَّا فَضَّهَا وَقَرَأَها ارْتَاحَتْ لَهَا نَفْسُهُ ، وانْفَرَجَتْ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ ، واتَّسَعَتْ أَمَامَ عَيْنَيْهِ رُقْعَةُ المُلْك ، وشَاعَ فى صَدْرِهِ بَرِيقُ الْأَمَلِ ؛ وَدَعَا وُزَرَاءَهُ وأَهْلَ الرأْىِ فِى مَملَكتِهِ ، وأَعَادَ عَلَيهِمْ قرَاءَةَ الرِّسَالَةِ ، وَطَلَبَ إِلَيهِم أَنْ يُدْلُوا بآرَائِهِمْ فيهَا .

فَأَشَارُوا عليْهِ جمِيعًا بِأَنْ يقْبلَ ما عَرَضَتْهُ الزَّباءُ ، وَأَنْ يُسْرِعَ بالرَّحِيلِ إِلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تُفْلِتَ مِنَ يَدَيْهِ هَذِهِ الْفُرُصَةُ الثَّمِينَة .

وَكَانَ بَيْنَ الْحاضِرِينَ « قَصِيرٌ اللَّخْمى » رجُلٌ قَصِيرُ الْقَامَةِ ، كبِيرُ الرَّأْسِ ، عرِيضُ الْجَبْهَة ، عُرِف بالذَّكاءِ والدهَاءِ ، واشتَهَرَ بالمكْرِ وبُعْدِ النَّظَرِ ، وَسَدَادِ الرَّأْىِ . كَانَ يَجْلسُ صامتًا مُطْرِقًا ، يسْتَمِعُ إِلَى الْقَوْمِ وَهُمْ يُدْلُونَ بآرَائِهِمْ ، ويَحثُّونَ الْملِكَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الزَّبَّاءِ . فَتَلَفَّتَ إِلَيْه جَذيمةُ ، وَسَأَلَهُ :

ـ مَالِى أَرَاكَ صَامِتًا لَا تَتَكَلَّمُ يا قصيرُ ! ما رَأْيُكَ أَنْتَ

فِى هَذِهِ الرسَالَةِ ؟

فَخَرَجَ قَصِيرٌ مِنْ صَمْتِهِ ، ورَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْمَلِكِ ، وقالَ لَهُ :

– أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ ، إِنَّنِى أُخَالِفُ الْقَوْمَ فِى رأْيِهِمْ ، وأَرى أَنَّ هذِهِ الرِّسَالَةَ مَا هِىَ إِلَّا حِيلَةٌ تَحْتَالُ بِهَا الزَّبَّاءُ عَلَيكَ ، قَدْ خَبَّأَتْ وَرَاءَهَا أَمْرًا ، وَلَا تَظُنَّ يا مَوْلَاىَ أَنَّهَا قَدْ نَسِيَتْ حِقْدَهَا ، أَوْ سَكَتَتْ عنْ ثَأْرِهَا . وَمَنِ الَّذِى يَنْسَى مَقْتَلَ أَبِيهِ وَلَوْ بعْدَ حِينٍ ؟ !

وَالرَّأْىُ عِنْدِى يَا مَوْلَاىَ أَنْ تَتَمَهَّلَ فِى زِيَارَتِهَا ؛ مُعْتَذِرًا بِأَعْبَاءِ الْمُلْكِ وَشُئُونِ الرَّعِيَّةِ ؛ وتَطْلُبَ مِنْهَا أَنْ تَقْدَمَ هِىَ عَلَيْكَ ؛ فإِنْ كَانَتْ صادِقَةً فِى الْقَوْلِ ، رَاغِبَةً فِى الزَّوَاجِ حقًّا أَقبَلَتْ ، وإِنْ كَانَتْ تُرِيدُ خِدَاعَكَ والْقَضاءَ عَلَيْكَ لَمْ تُمَكِّنْهَا مِنْ نَفْسِكَ ، وأَنتَ مَا زِلْتَ عَزِيزًا فِى بَلَدِكَ ، مُتَمَكِّنًا مِن أَطْرافِ مُلْكِكَ .

فَلَمْ يَقَعْ هَذَا الْكَلَامُ مِن جَذِيمَةَ مَوْقِعَ القَبولِ ، وَلَمْ تَرْتَحْ نَفْسُهُ لِذَلِكَ الرَّأْىِ ، وأَخَذَتْهُ الْحِيْرَةُ فى أَمْرِهِ ، واسْتَشكَلَ عَلَيْهِ الرَّأْىُ .

أَيَذْهَبُ إِلى الزَّبَّاءِ وقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ وُزَرَاؤُهُ بِذَلِكَ ، أَمْ

يمْتَنِعُ عَنِ الذِّهابِ إِلَيْهَا ، وَبِذَلكَ نَصَحهُ قَصِير ! ؟

وَكانَ لِجَذِيمَةَ ابنُ أُخْتٍ يُدْعَى « عَمْرُو بنَ عَدِىٍّ » ؛ كَانَ شابًّا فِى رَيْعَانِ الشَّبَابِ ، ذكِىَّ الْقَلْبِ ، صَائِبَ الرَّأْىِ ، بعِيدَ النَّظَرِ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ وَيَسْتَشِيرُهُ فِى الْأَمْرِ ، فَأَشَارَ عَلَيْه بالتَّوَجُّهِ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى الزَّبَّاءِ ، وزيَّنَ لَهُ ما وَراءَ ذَلكَ مِنَ اتساعِ الْمُلْكِ ، وَرَوْعَةِ السُّلْطَانِ . فَاقْتَنَعَ جَذِيمَةُ بكَلَامِهِ ، وزَالَتْ حَيْرَتُهُ ، وَعَزَمَ عَلَى السَّيْرِ إِلَى الزَّبَّاءِ ، وَتَهَيَّأَ للرَّحِيلِ بَعْدَ أَنِ اسْتَخْلَفَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ عَمْرَو بْنَ عَدِىٍّ ، يُصَرِّفُ الْأُمُورَ ، وَيَنْهَضُ بالْأَعْباءِ .

٢

سَارَ جذِيمةُ عَلَى شَاطِىءِ نهْرِ الْفُرَاتِ ، وأَخَذَ مَعَهُ وُزَرَاءَهُ وَعُظَمَاءَ مَمْلكَتِهِ ، ومِن بيْنِهِمْ قَصِير . وَحِينَ اقتَربَ مِنَ الْجَزِيرَةِ رَأَى جَمَاعةً مِنَ النَّاسِ تَقْتَرِبُ مِنْهُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حتَّى اسْتَبَانَتْ ، فَإِذَا هِى رُسُلُ الزَّبَّاءِ ، جَاءَتْ تُقَدِّمُ إِلَيْهِ الهدَايا ، وَتَحْمِلُ إِلَيْه تَحِيَّةَ الْمَلِكَةِ !

فَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُ جَذِيمةَ ، وازْدَادَتْ ثِقَتُهُ فِى الزَّبَّاءِ ،

وَرَأَى أن يُدَاعِبَ قَصِيرًا ، فَقالَ لَهُ :

– مَا رَأْيُكَ الْآنَ يَا قَصِيرُ ، وَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُهَا تحْمِلُ الْهَدَايَا ، وتُقَدِّمُ دلَائِلَ الْإِخْلَاصِ والْوفَاءِ ! ؟ فَأَجابهُ قَصِيرٌ :

– لَا تَغُرَّنَّكَ هذه الْهَدَايا يَا مَوْلَاىَ ، وأَرْجُو أَنْ تكُونَ مِنْ أَمْرِكَ عَلَى حَذَرٍ ، وهَأَنَذَا أَرَى الْجُيُوش مِنْ بَعِيد ، وَسَتَلْقَاك بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَإِنْ سَارَتْ أَمَامَكَ فَالْمَرْأَةُ صَادِقَةٌ فى كَلَامِهَا ، وإنْ سارتْ عَنْ يمِينِكَ وشِمَالِكَ ، وَخَلْفَكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا الْخَدِيعةُ والْغَدْرُ ؛ وحِينَئِذٍ فَارْكَبْ فَرَسَكَ ، وانْجُ بِهَا ، وَسَتَجِدُنِى بِجِوَارِكَ وعَلَى مقْرَبَةٍ مِنْكَ .

ولَمْ يعْبَأْ جَذِيمَةٌ بِكَلَامِ قَصِيرٍ ، وَوَاصَل السَّيْرَ . وَما هِىَ إِلَّا سَاعَاتٌ حَتَّى كَانَتِ الْجُيُوشُ مِنْ فُرْسَانٍ وَمُشَاةٍ ، قدْ أَحَاطَتْ بِجَذِيمةَ وَمنْ معهُ مِنْ كُلِّ جانبٍ ، وحالَتْ بيْنَهُمْ وبيْن الْفِرارِ .

ونَظَر قَصِيرٌ ، فرأَى الجيوشَ تُحِيط بالملكِ . وعرفَ أَنَ الملكَ لَنْ يستطيعَ أَن يركبَ الفرَسَ وينْجُو ، فركبها هو ، ولَوى عِنَانَها ، وطارَ إِلى عمْرٍو فى الحِيرةِ ؛ يُخبرُهُ بما كانَ ، ويُدَبِّرُ معه طريقَ تخْلِيصِ جَذِيمةَ ، إنْ كانَ ذلكَ مُمْكِنًا ؛

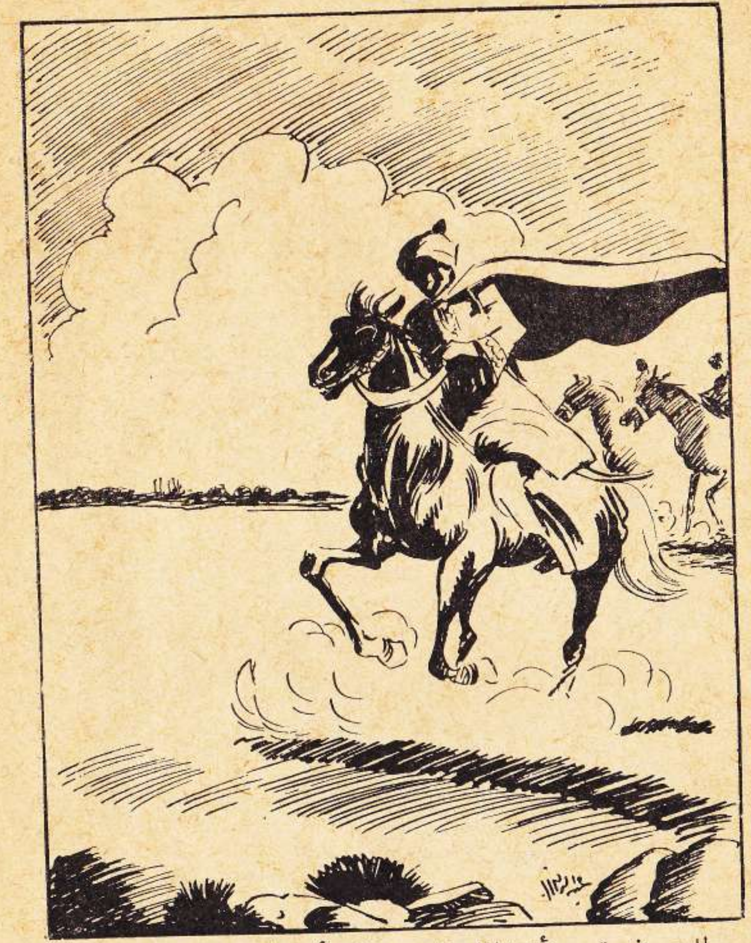

ولما عرف قصير أن الملك لن يستطيع أن يركب الفرس وينجو ركبها هو ، ولوى عنانها ، وطار إلى عمرو بن عدى .

أوِ الأَخْذَ بثأرِهِ إنْ قتلتْه الزَّبَّاءُ .

وسَارتِ الجيوشُ بجَذيمةَ ومَنْ معَهُ ، حتى وصلُوا إلَى مملكة الزَّباءِ ، ودخَلُوا قصرَها . ولما علمتْ بوصُولهم ، أَقبلتْ تَتَبخْتَرُ فى ثِيابِها الملَكِيَّةِ ، وتَشْمَخُ بأَنْفِها ، ورأَتْ جَذيمةَ وقدْ هَربَ دمُه مِنْ وجهِه ، واصْفَرَّ لونه ، وارتعدتْ فرائِصُه ، فقالتْ لَهُ فى سُخْرية و غَيْظ :

ـ لَقد آنَ لِى يا جَذيمة أَنْ أثْأَرَ لأَبِى مِنْ قاتلِه ، وآنَ لنفْسِى أَنْ ترتاحَ بَعدَ طولِ العْذابِ ، وآنَ لعيْنىِ أَنْ تنامَ بعدَ سهَرٍ طويل .

فاضطربَتْ نفسُ جَذِيمة ، وخارتْ قواهُ ، ولمْ يتكلَّمْ بِكلمةٍ واحدةٍ . ثُمَّ أَمرتِ الزَّبَّاءُ خَدَمَها ، فأَحضَروا لها طَسْتًا مِنْ ذَهبٍ كانتْ قد أَعدَّتْه لتَجمعَ فيهِ دماءَ جذِيمة .

ولمَّا وضَع الخَدمُ الطَّسْتَ الذَّهبىَّ بَيْنَ يديْهَا ، نظَرتْ إلى جذيمة وقالت له فى سُخْرِيَةٍ :

ـ لقدْ أَعددْتُ لدمائكَ الزَّكيةِ طَسْتًا من الذَّهبِ ، ليَلِيقَ بمقامِك الرَّفيع !

ثمَّ دعتْ بطَعامٍ وَخَمْر ، وطلبتْ مِنْ جذيمةَ أَنْ يأْكُلَ وَيشْرَبَ ، فأَكلَ حَتى شَبعَ ، وَشرِبَ من الخمرِ كأْسًا وراءَ كأْسٍ حتى سكِرَ ، وغابَ عقلُه ، وتبلَّدَ حِسُّه ، فأَمرت السِّيَّافَ أَنْ يقطعَ عُروقَ ذراعِه ، فقطعَهَا بالسَّيفِ ، فَتَدَفَّقَتْ مِنْها الدِّماءُ ، وتجمَّعتْ فى الطَّسْت .

وقالتِ الزَّباءُ للسيَّافِ ومُعاوِنيه :

ـ لا تُضَيِّعوا دمِ المَلِك ، بلْ حافِظُوا عَليْه ، واحْذَرُوا أَنْ يقعَ منْه شىءٌ عَلَى الأَرْضِ ؛ فقَدْ قالتْ لى العرَّافةُ ذاتَ يَوْمٍ :

ـ إنْ سَقَطَ شىءٌ مِنْ دمِ الملِكِ خارج الطَّسْتِ طولِبَ بدَمِه ، وأُخِذَ بثَأْره .

وظَلَّتِ الدِّماءُ تنزِفُ مِنْ ذِراعِ جذيمةَ ، حتى ضعُفَ ، فسقَطَتْ ذِراعُه عَلَى الطَّسْتِ ، ووقَعَتْ نُقَطٌ مِنْ دمِه خارجَه .

فتَشاءَمتِ الزَّباءُ مِنْ ذلك ، وغَضِبَت على السيَّاف ومُعاوِنيه أَشد الغضَبِ ، وعنَّفَتهم وأَنَّبتْهُم .

ثمَّ لَمْ يَلبث جَذِيمةُ أَنْ فارقَ الحياةَ .

٣

وشاعَ خبرُ مَقتَلِ جَذيمةَ فى كل مكانٍ ، ووصَلَ إلى مسامعِ قَصيرٍ وعمْرو بن عدِىٍّ ، فحزِنَ كلٌّ منهُما أَشَدَّ الحزنِ ، وصمَّم كلٌّ منهُما علَى الانْتِقَامِ ، والْأَخْذِ بالثَّأْر . ولكنَّ قصيرا كَانَ أَشدَّ تحمسًا مِنْ عمرٍو ، فذهب إليْه ذاتَ يوْمٍ وقالَ له :

ـ لقدْ حانَ الوقتُ للانْتقَامِ ، فاسْتَعِدَّ لَهُ ، ولا تفرِّطْ فى دمِ خالِك .

فقال له عمْرو :

ـ وكيفَ نَنْتَقِمُ منَ الزَّباءِ وهى مُحصَّنَةٌ مُمْتَنِعةٌ لا يُمكنُ الوصُولُ إلَيْها ؟ !

فأَجابه قصيرٌ فى ثقةٍ واعْتِزَازٍ بالرَّأْى :

ـ سَأَجْعَلُكَ تصِلُ إلى بلادِها ، وتَدْخلُ قصرَهَا ، وتقْضِى على مُلْكِها ؛ وقدْ قتَلتْ خالكَ بالْحِيلةِ والمكر والخدْيعةِ ؛ وسَنَقْتُلها بسلاحها ؛ بالحيلةِ والمكْرِ والْخديعة أَيضًا .

* * *

وكَانتِ الزَّباءُ قد سأَلت العرَّافةَ عنْ مصيرِها بعدَ مقتَلِ

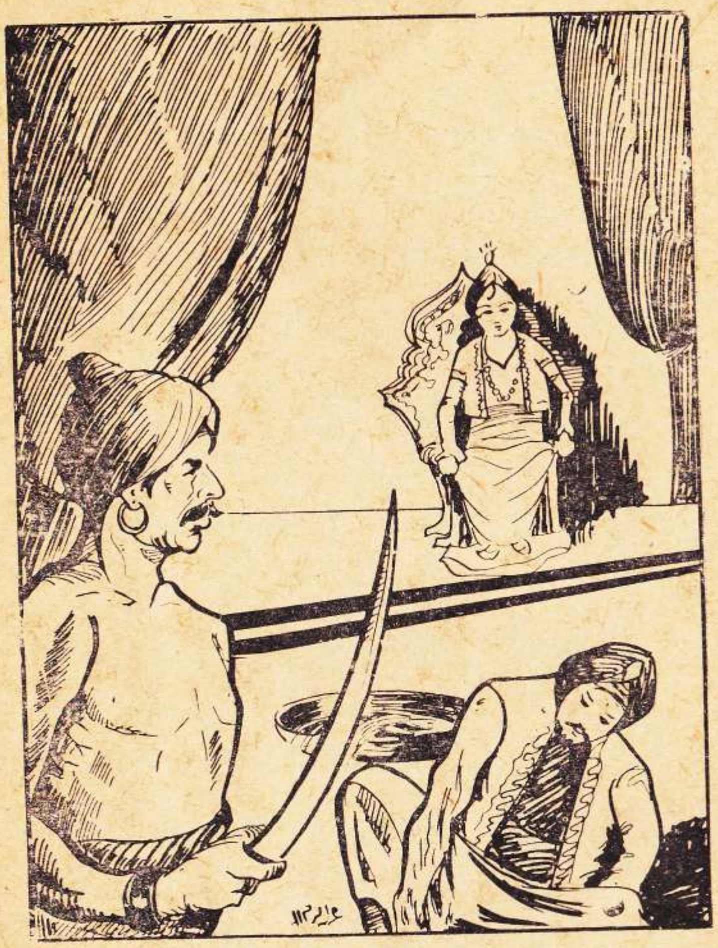

وظلت الدماء تنزف من ذراع جذيمة ، حتى ضعف فسقط ذراعه على الطست ، ووقعت نقط من دمه خارجه .

جذيمةَ . وبعدَ ما شاءَ القَدَرُ مِنْ وقوعِ دمِه خارجَ الطَّسْتِ ، فأَخبرتْها أَنْ تحذَر عمْرو بنَ عدىٍّ ، خليفةَ جذيمةَ على مُلْكه ؛ فخافتْ منْه ، وأَخذَتْ تَتَحوَّطُ للأَمر ، واتَّخذَتْ لها حِصْنًا داخِلَ المدينَةِ ؛ تلْجَأُ إليْه وقتَ الحاجةِ ، وحفَرتْ نَفقًا تحتَ الأَرْضِ ، يَصِلُ بيْنَ القَصْرِ وَالْحِصْنِ ، وهيَّأَت فى نفسها – إنْ فاجأَها خطَرٌ وهىَ فى قَصْرها – أَنْ تَهْرُبَ من النَّفقِ إلَى الْحِصْنِ . ثمَّ دعتْ مصوِّرًا بارعًا ، وطلبَتْ إليْه أَنْ يسيرَ إلَى عمرٍو فى مُلْكِه ، وَيتَلَطَّفَ فى الوصولِ إليْه ، وأَنْ يصوِّرَه لها فى جميعِ أَحوالِهِ ؛ يُصوِّرُه قائمًا وقاعدًا ، وماشيًا وراكبًا ، ومتكلِّمًا وصامتًا ، ومسرورًا وحزينًا ؛ بحيْثُ تعرِفُه حينَ تراهُ ، وزوَّدتْه بكُلِّ ما يلزَمُ منْ أَدواتِ التَّصويرِ ، ووَعدتْه بمكافأَةٍ ثمينةٍ ؛ إنْ عاد يحملُ ما طلبتْ من الصُّور .

وذَهبَ المصورُ إلى قصر عمرو بنِ عدىٍّ ، فدخلَه مُتنكرًا ، واحتالَ حتى التحقَ بخدمَةِ عمرو وتمَّ له ما أَرادت الزَّباءُ . وعادَ بالصُّور إلى الملكةِ ، فأَصْبحتْ بها تعرِفُ عَمْرًا فى كلِّ حالاته .

٤

أَخذَ قصيرٌ وعمرٌو يستَعِدَّانِ للانْتِقام ، ويرسُمانِ لهُ الْخِطَّةَ . واسْتَغَلَّ قصِيرٌ مواهبَهُ فى ذلكَ ، فانتهى إلى حيلةٍ جريئَةٍ ناجحة .

قال قصيرٌ لعَمْرو :

– اقْطَعْ أَنْفى ، واضرِبْ ظَهرِى ، واتْرُكْنى وهذهِ المرأَةَ .

فأَجابه عمرٌو :

– مَا أَنَا بفاعلٍ . وكيفَ أَفعلُ بكَ ذلكَ يا قَصيرُ ، ومَا فعلتَ بى شَيئًا يستحقُّ أَنْ أَقْطعَ أَنفَك ، أَوْ أَضربَك على ظهرك . أَليستْ لديْك حيلةٌ أُخرى غيرُ هذه الحيلة ؟ !

قالَ له قَصيرٌ :

– إذَنْ فدَعْنى وشَأْنِى ، فلَا حيلَةَ سواها .

فأَجابه عَمرٌو :

– أَنتَ وشَأْنَكَ ، افعلْ ما تريدُ بنفسك .

وانصرفَ قصيرٌ ، فذهبَ إلى بيْتِهِ فجدع أَنفَه ، وأَمرَ

مِنْ ضرَبه على ظَهْرِه ؛ حتَّى ظهرتْ آثارُ الضَّربِ بارزةً على جسمِه .

ثمَّ خرجَ منَ العراقِ متَّجهًا صوبَ الزَّبَّاءِ ، وَلَمْ ينْسَ وهو خارجٌ من العراقِ أَنْ يَصِيحَ ويُوَلْوِلَ ، ويُظْهِرَ للنَّاسِ أَنَّ عَمْرًا هوَ الذى جَدَعَ أَنفَه ، وجلَدَ ظهرَه ظُلْمًا وعُدوانًا ؛ لأَنَّه ظنَّ أَنهُ هوَ الذى خَدَعَ خالَه جَذيمةَ ، وأَوْقعهُ فِى حبالِ الزَّبَّاءِ .

وسارَ قصيرٌ حتَّى قدِمَ عَلَى الزباءِ ، وهو يشْكُو إلى كُلِّ مَنْ يقابلُه ظُلْمَ عمْرٍو ، فلمَّا وقفَ ببابِ قَصرِها استأْذنَ فى الدُّخولِ عليْها ، بعدَ أَنْ عرَّفَ حاجبَها بنَفْسه ، فأَذَنَتْ ل فى الدُّخول . ولمَّا مثَلَ بيْن يديْها انْفجرَ بالْبكاءِ ، فدهشت الملكةُ لِبكائِه ، ونظرتْ إليه فوجدتْ أنفَه مقْطوعًا وظهرَه مضْروبًا ، وآثارَ التَّنْكيل بهِ واضحةً ، فسأَلتْه فى دهْشة :

— منِ الَّذى فعلَ بكَ ذلكَ الفِعْلَ الشَّنيعَ يا قَصيرُ ؟

فأَجابَها ، وقَد علا نحيبُه ، وازْدادَ بكاؤُه :

— عَمْرُو بنُ عدىٍّ يا مَولاتِى . ظَنَّ أَنَّنِى خدَعتُ خالَه ، ومكَرْتُ بهِ بعدَ أَن اتَّفقْتُ معكِ على قتْلِه ، ففعلَ بى

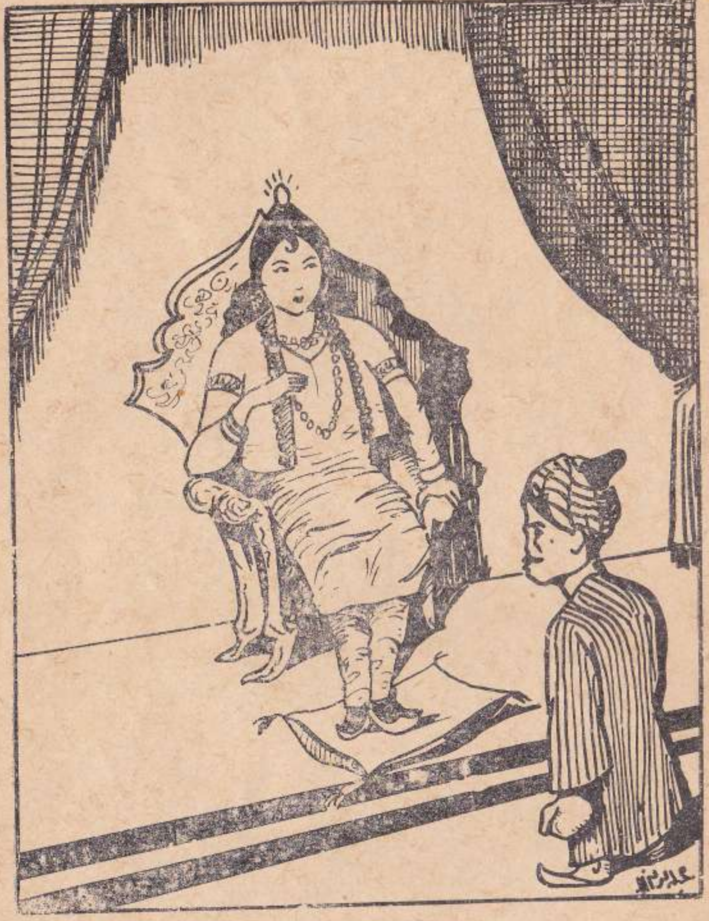

ولما مثل بين يدى الملكـــة انفجر بالبكاء ؛ فنظرت اليه ، فوجدت أنفه مقطوعا : وظهره مجلودا .

ما تَريْنَ ؛ قطع أَنفى ، وضربَ ظهرِى ، واغْتَصب مالِى ، وَطَردنى منْ بلادِى . وقدْ لجأْتُ إليْكِ يا مولاتى ؛ لأَعيش فى كَنَفِك .

فَرَقَّ قلبُ الملكةِ لقَصِيرٍ ، وأَقامتْه فى قَصْرِها ، وأَحلَّته فيهِ منزلةً رفيعةً . ولَمْ يلبثْ أَنْ ظهرتْ مواهبُه ، ودلائلُ إخلاصِه ونُصْحِه ، فاتخذتْهُ مُسْتَشارها الْأَوَّلَ ، ورسولَها الأَمينَ ، يُشيرُ عليْها بالرَّأْىِ الصَّائبِ ، والأَمْر النَّاجح .

ومع الأَيامِ استراحتِ الملكةُ لمقامِ قَصيرٍ عندَها ، وعظمتْ منزلتُه لديْهَا . فأَقام معها أَمدًا طويلًا .

* * *

ولمَّا وثق قصيرٌ من الملكة ، وتمكَّنَ مِنْ عقلِها وقلْبِها ، قال لَهَا ذاتَ يوم :

- سيِّدتِى الملكةُ ؛ إنَّ لىَ فى العراق أَموالًا كثيرةً ، فهلْ تسمحِين لى بالذَّهابِ إليه لأُحضِر أَموالى ، وأُحضِر لكِ ما شئْتِ من ثيابِ العراقِ وطِيبِه وتُحفِه ؟

فعارضتِ الزَّباءُ رأْيَه أَولَ الأَمرِ ، ولَمْ توافِقْ على سفرِه ؛ لأَنَّها لم تَكُنْ تستطيعُ أَنْ تستغْنىَ عنْ مشُورتهِ ورأْيهِ .

ولكِنَّ قصيرًا ظلَّ يُقْنِعُها برأْيهِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ، حتَّى اقتَنَعَتْ وَأَذِنتْ لهُ فى الرَّحيلِ ، وجهَّزتْ معهُ بعضَ العبيدِ .

وسارَ قصيرٌ والعبيدُ حتَّى وصلَ العراقَ ، فدخلَهُ ليلًا ، حتَّى لا يراهُ أَحَدٌ ، واتَّجَه منْ فوره إلى قَصرِ عَمْرِو بن عدِىٍّ ، فقَصَّ عليه قِصَّتَه معَ الزَّبَّاءِ ؛ وأَخبَرهُ بما نالَ من ثِقتِها ؛ وما اعتزمَ عليْه فى أَمرِها ، ثم قالَ له :

- جَهِّزْنى بصُنوفِ الثِّيابِ ، وأَنواع العُطورِ ، والتُّحف .

فجهَّزهُ بما طَلبَ ، ووَدَّعَه متَمنِّيًا له التَّوفيقَ .

وعادَ قصيرٌ إلى الزَّباءِ يحملُ الهدايَا النَّفيسةَ ، والتُّحَفَ الجميلةَ ، فلمَّا رأَتْها أُعجبَتْ بها أَشدَّ الإعجاب ، وازْدادتْ محبَّتُها لقَصيرٍ ، وثِقَتُهَا بِه .

وطَلبتْ منه للمرَّةِ الثَّانية أَن يَذْهب إلى العراق ، ويَعودَ بمِثْلِ هذه التُّحفِ ، فذهبَ وعادَ بفاخرِ الثِّيابِ ، ونادر التُّحفِ ، ورائعِ الطِّيبِ ؛ فتضاعفَ سرورُ الملكةِ ، وتضاعفَتْ منزلةُ قصيرٍ عندَها .

ثمَّ جهَّزَتْه للمرَّةِ الثَّالثة . فذهبَ إلَى عمْرِو بن عدىٍّ ،

وقالَ له :

– جهِّزْ نفسك للرَّحيلِ معِى إلَى الجزيرةِ ، واجمَعْ من تَثِقُ به من أَصْحابك ، فإذَا مَا اقْتربْنا منْ ديارِ الزَّباءِ ضَعْ كُلَّ رجُلٍ مِمَّنْ معكَ فى غِرارَةٍ ؛ واحمِلْ كُلَّ غِرارَتَيْن علَى بَعيرٍ ، فإذَا دخلْنا المدينَةَ ، وصفْتُ لكَ بابَ النَّفَقِ الذى يصِلُ بيْنَ مجلسِها والحِصْنِ ، فوقَفْتَ علَيْه . ثُمَّ يَخْرُجُ الرِّجالُ منَ الغرائِر ، فيَصِيحونَ بأَهْلِ المدينةِ ، ويُشِيعونَ فيهمُ الذُّعرَ والخوفَ ؛ فإذَا تعرَّضَ لهم أَحدٌ قَتَلُوه . وإنْ أَقْبلت الزَّبَّاءُ تريدُ الدُّخولَ فى النَّفق ضربتَها بالسَّيفِ فقتلْتَهَا ، واستولَيْتَ عَلَى مُلْكها .

وراقتْ هذه الْخطَّة التى رسَمها قصِيرٌ فى نظر عَمْرٍو ، وقامَ فى الحالِ ، وأَعَدَّ الرِّجالَ ، وزوَّد كلَّ واحدٍ بسيْفٍ ، وسارُوا نحوَ الزَّباءِ ، يَخْتَفُونَ بالنَّهارِ ، ويسيرُونَ باللَّيل ، حتَّى لا يعلَمَ بمسيرِهم أَحدٌ .

ولمَّا أَصبحُوا قريبًا مِنَ المدينةِ ، دخَل الرِّجالُ فى الغرائر ، وحُمِلُوا على الإبِل ، وسبَق قصِيرٌ ، فدخَل على الزَّباءِ ، وبشَّرها بقدُوم الإبل ، تحمِلُ المتاعَ والطُّرَفَ ، وطلب مِنْها

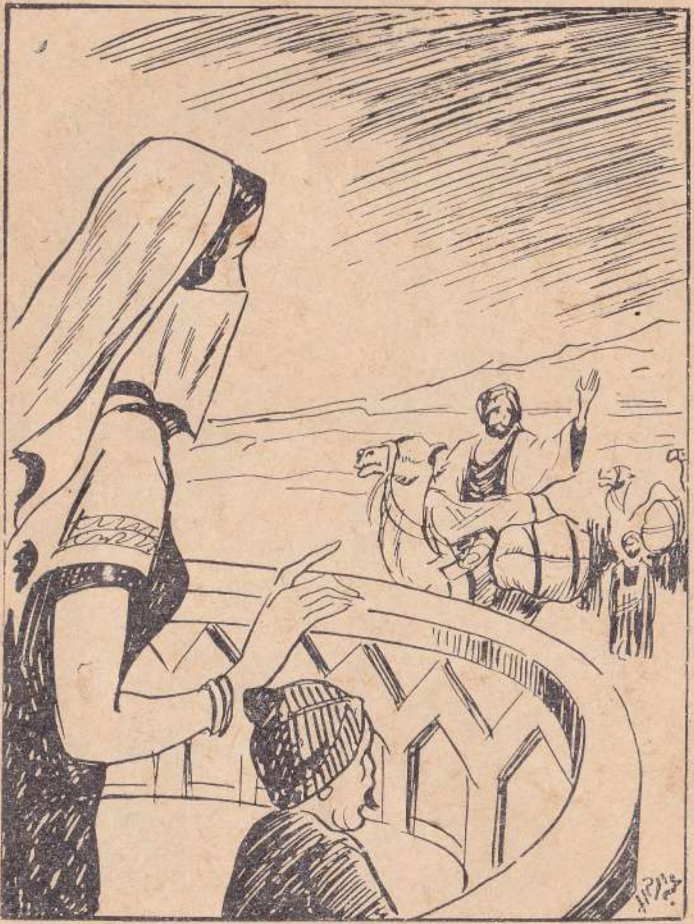

وقالت الملكة لقصير :

ماللجمال مشيها وئيداً ! أجندلا يحملن أم حديدا ؟؟

فقالَ قصير فى نفسه :

بل الرجالُ قُبَّضا قُعودا

أَنْ تخرُجَ إلى شُرْفةِ قَصرِها ، فتُشاهدَ ما جاءَ به .

واسْتجابَت الزَّباءُ لطلبِه ، فخرجتْ إلى الشُّرْفةِ ، تَنْظُر ما حَملت الإبلُ مِنْ تُحَفٍ ، فرأَتْها تَنُوءُ مِنْ ثِقَلِ ما تَحْمِلُ ، وتكادُ قوائمُها تَغوصُ فى الأَرضِ ، فنظرتْ إِلَى قصيرٍ بجانبِها وقالتْ له :

ما للْجِمالِ مَشْيُهَا وئيدَا ! أَجنْدَلًا يحْمِلنَ أَمْ حديدَا !

فقالَ قصيرٌ فى نَفْسه :

* بَل الرِّجالُ قُبَّضًا قُعودًا *

ثُمَّ تقدَّمتِ الإبلُ ، فدخلتِ المدينةَ . ولمَّا توسَّطَتْها أُنيخَتْ أَمامَ قصرِ الزَّباءِ . والْتَقى قصيرٌ بعَمْرٍو سِرًّا ، فَدلَّهُ على بابِ النَّفقِ ، فوقفَ علَيْه .

ثم خرجَ الرِّجالُ منَ الغرائر يحمِلونَ السُّيوفَ ، وصاحُوا بأَهلِ المدينةِ ؛ فوقع بيْنَ الفَريقَيْن قِتالٌ شَديد .

ولما أَحَسَّتِ الزَّباءُ بذلكَ ذُعِرتْ ذُعْرًا شديدًا ، وانْخَلع قَلبُها ، فأَسرعتْ تُريدُ دُخولَ النَّفقِ ، ولكنَّها ما كادَتْ تصِلُ إلى بابِه حتَّى وجدتْ أَمامَها عمرَو بنَ عَدىٍّ واقفًا ، وفى يدِه سيْفُه ، فَعرَفَتْهُ بالصُّورَ الَّتِى صُوِّرتْ لها .

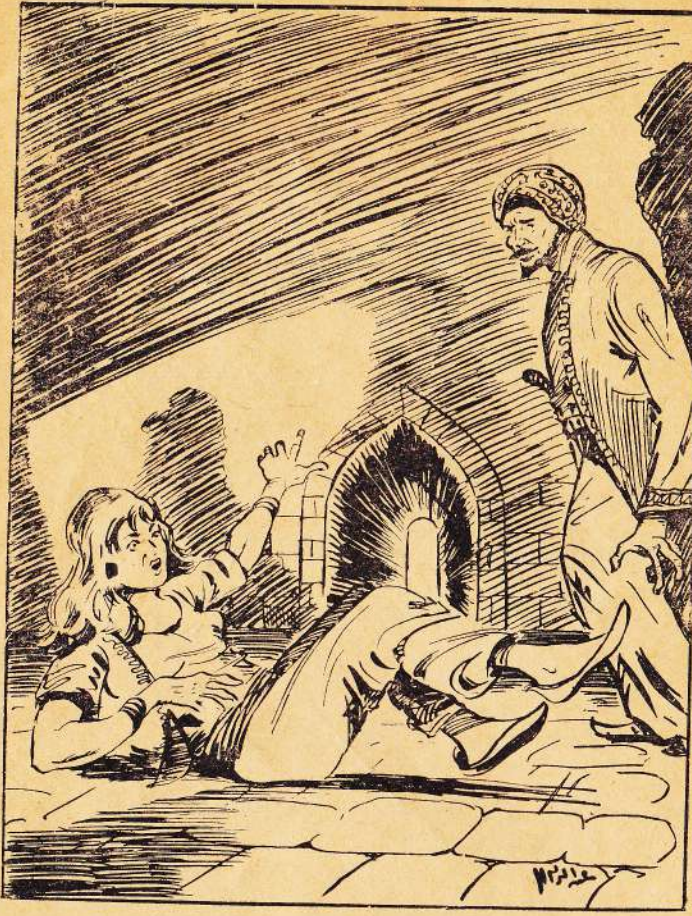

مصت الملكة خاتمها ، فسرى السم فى دمها
فترنحت وسقطت على الأرض ، **وقالت :**
— بيدى لا بيد عمرو !

فتذكَّرتْ كلام العرَّافةِ ، وفَضَّلتْ أَنْ تموتَ بالسُّم على أَنْ يقتلها عمرٌو بالسَّيفِ ، وكانَتْ قَدْ وضَعتْ فى يدها خاتماً مَسمُومًا استعدادًا لهذَا الأَمْرِ إذا تعرَّضَ لها عَمرٌو ، فمَصَّتْهُ ، وسَرى السُّمُّ فى دمها ، فتَرنَّحتْ ثُمَّ سقَطتْ على الأَرضِ . وقَبلَ أَنْ تلفِظ نفسَها الأَخيرَ ، قالتْ :

- بِيَدِى لا بيدِ عَمْرٍو .

ثُمَّ فارقتِ الحياةَ .

وخرَج عَمْرٌو فالْتَقى بقصير ، وأَصابَا من المدينةِ وأَهلِها ما شاءَا ؛ ثم كَرَّا راجعَيْنِ إلى العراق ، بعْدَ أَنْ أَخذَا بثأْرِ الملكَ المخْدوع .

حماية المستجير

بَلَغَ أَميرَ المؤْمنينَ المهْدِىّ أَنَّ رَجُلًا يَسْعَى فى إِفْسادِ دَوْلَتِه ، وتَقْوِيضِ مُلْكِه ، فقرَّرَ أَنْ يُعاقبَهُ عَلَى جُرْمِه ، وَأَعْلَنَ فى النَّاسِ أَنَّ من يَقْتُلُ هَذا الرَّجُلَ أَوْ يأْتى به حَيًّا ؛ فَلَهُ جائِزةٌ ؛ مائةُ أَلفِ دِرْهَمٍ .

وشاعَ الْخبرُ فِى بَغْدادَ ، حتَّى وصَلَ إِلَى عِلْم الرَّجُل ، فأَخذَ حِذْرَهُ مِنَ النَّاس ، وَتَنكَّرَ فى ثِيابٍ غَيْر ثِيابِهِ ، وصارَ يَخْتَفِى فِى بعْضِ الدُّور حَتَّى لَا يَظْفَرَ به أَحدٌ .

وَذَاتَ يَوْمٍ كانَ يسيرُ متنكِّرًا فِى بَعْضِ دُرُوب بَغْدَادَ ، فَرآهُ رَجلٌ كانَ يعْرِفُه ، فَقَبَضَ علَيه ، وقالَ لَهُ :

- أَنْتَ الَّذى يَبْحثُ عَنْه أَميرُ المؤْمنينَ !

ثُمَّ أَمْسَكَ به . وحاوَلَ الرَّجُلُ أَنْ يُفْلِتَ مِنْ هذَا الَّذِى قَبضَ علَيْه ، فَلَمْ يَسْتَطعْ . ورَآهمَا النَّاسُ ، وَهُمَا فِى هَذِه الحال ، فاجْتَمَعُوا حوْلَهُمَا ، وَالرَّجُلُ يحاوِلُ أَنْ يُنْكِر نَفْسهُ ؛ أَوْ يَهْرُبَ .

وَبيْنَمَا هم كَذَلكَ مَرَّ « مَعْنُ بْنُ زَائدَة » وَكانَ معْن فارسًا منْ فُرْسَان العرب ، وشَريفًا من أَشْرَافهِمْ ، وَلَهُ مَوَاقفُ

فِى الحَرْبِ والجِهاد مَشْهورَةٌ . فَلَمَّا رآهُ الرَّجُلُ ناداهُ ، وَقالَ لَهُ :

– يا أَبَا الوليدِ . أَجِرْنى أجارَكَ اللهُ !

فَتَلَفَّتَ مَعْنٌ حَوْلَهُ ، فَرَأَى الرَّجُلَ والنَّاسَ مُجْتَمِعُون حوْلَه ، وصَاحِبُه يُرِيدُ أَنْ يَذْهبَ بِه إِلَى الخَليفةِ ؛ فَقالَ لِغُلام مِنْ غِلْمَانِه :

– انْزِلْ عَنْ دَابَّتِكَ ، وَاحمِلْ هذَا الرَّجُلَ إِلَى مَنْزلى .

فَقالَ الرَّجُلُ الَّذى أَمْسَكَ بِهِ :

– أَتَأْخُذُهُ إِلَى مَنْزِلِكَ ، وَأَميرُ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُهُ ؟ !

فَأَجابَهُ مَعْنٌ :

– اذْهَبْ إِلَى أَميرِ الْمُؤْمنينَ ، وأَخْبِرهُ أَنَّ « مَعْنًا » أَخَذَهُ إِلَى دارِه وَأَصْبحَ فِى جِوارِه .

فَخَلَّى الرَّجُلُ عَنْهُ ، وَذَهبَ إِلى المَهْدِىّ ، فَأَبْلَغَهُ الخَبَرَ ، فبعث الْمهْدِىُّ إِلَى « مَعْنِ بن زَائِدَةَ » رَسولًا يَسْتَدْعيه إِلَيْه .

فَرَكِبَ « مَعْنٌ » إِلَى الْخَلِيفَةِ . وقبْلَ أَنْ يَرْكَبَ أَوْصى غلمانَهُ أَنْ يَحْرُسُوا الرَّجُلَ ، وأَنْ يحْموهُ ؛ إِذْ أَنَّهُ قَدْ أَصْبحَ فى جِوارِه .

وذَهَبَ مَعْنٌ إِلَى الخَلِيفَة فَدَخَلَ علَيْهِ وسلَّمَ ، فَلَمْ يُرُدَّ

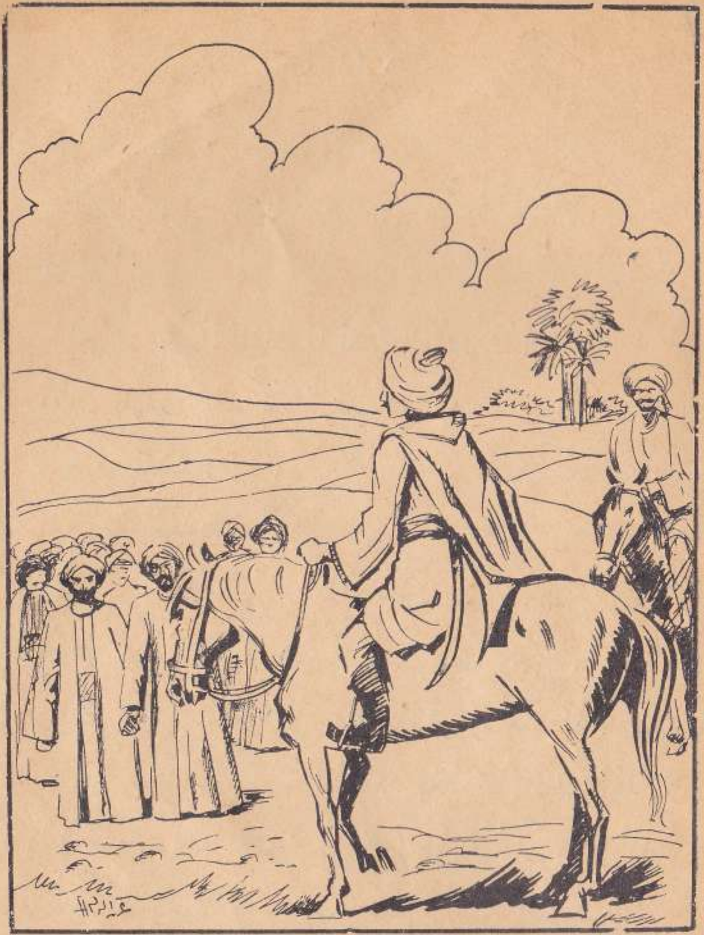

قال الرجل لمعن :

– أتأخذه إلى منزلك وأمير المؤمنين يطلبه ؟

فقال معن :

– اذهب إلى أمير المؤمنين ، وأخبره أننى أخذته إلى دارى وأصبح فى جوارى .

عليْهِ السَّلامَ غَضَبًا ، وقالَ لَهُ :

– أَتُجيرُ علَيَّ يَا مَعْنُ ؟

فَأَجَابَهُ :

– نَعَمْ ، أُجيرُ عَلَيْكَ يَا أَميرَ المؤْمِنينَ !

فقَالَ المهْدِىُّ وقد ازْدادَ غضَبًا :

– ونَعَمْ أَيْضًا ؟ !

فقالَ له مَعْنٌ :

– يا أَمير المؤْمِنينَ . لقَدْ حارَبْتُ فى اليَمنِ بأَمْرِكمْ فَقَتَلْتُ فى يوْمٍ واحِدٍ خَمْسةَ عَشَرَ أَلفَ رجلٍ مِمَّنْ خَرَجَ علَى دوْلتِكُم ، غيْرَ مَا لِى منْ مواقفَ مَشْهورَةٍ مَعْروفَةٍ انتَصَرْتُ فيها ، أَفَلا تَرانِى يَا أَميرَ المؤْمِنينَ بعْدَ كُلِّ ذَلكَ أَهْلًا لأَنْ يُوهَبَ لِى رَجُلٌ واحدٌ اسْتَجَارَ بِى ؟ ! علَى أَنَّهُ قدْ تابَ وأَنابَ ، وَعزَمَ على أَن يكونَ وَاحِدًا منْ خَدَمِ أَميرِ المؤْمنين !

فأَطْرَقَ المهْدِىُّ قَليلًا ثمَّ رَفعَ رَأْسهُ ، وقالَ لمعن :

– قدْ أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتَ يَا أَبا الوليدِ !

فَارْتَاحَتْ نَفْسُ مَعْن لِكلام الْخلِيفَةِ ، وانْزَاحَ هَمُّهُ وقالَ لَه :

– شُكرًا لك يا أَميرَ المؤمنينَ ، وأَرَى أَنْ تـأْمُرَ لَهُ ببَعْضِ المال ، فتكونَ قد أَحْيَيْتَهُ ، وأَزلْتَ الرُّعْبَ عنْهُ .

فَتَبَسَّمَ الْخَليفَةُ ، وقالَ :

– قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بخَمْسينَ أَلْفِ دِرْهَم .

فقالَ مَعْنٌ :

– يا أَميرَ المؤْمنين . إنَّ صِلَاتِ الْخُلَفَاءِ تكونَ عَلَى قَدْرِ جنَاياتِ الرَّعيَّةِ ، وإنَّ ذَنْبَ هَذَا الرَّجُلِ عَظِيمٌ ، فَزِدْ لَهُ فى الْعَطَاءِ .

قالَ المهْدِىُّ :

– قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بمائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

فقالَ لَهُ مَعْنٌ :

– أَرى أَنْ يُعجِّلَ أَميرُ المؤْمنين بالصِّلَةِ ؛ فإنَّ خَيْرَ البرِّ عاجِلُه .

قالَ المهْدِىُّ :

– عجَّلْنَاهَا لَهُ .

فشَكَرَ مَعْنٌ الْخَليفَةَ عَلَى كَرَمِهِ هذَا ، وأَخذَ المالَ وَانْصرفَ ، فلمَّا وَصلَ إلَى بَيْتِهِ أَخْبَرَ الرَّجُلَ بِمَا كانَ مِنْ عَفْوِ الْخَليفَةِ ،

وأعطاهُ المالَ .

فَلَمْ يُصَدِّقِ الرَّجُلُ مَا سَمِعَ مِنْ شِدَّةِ فَرحه وَسُرُورِهِ ، ثُمَّ انْصرف شاكرًا لِمَعْنٍ معْروفَهُ الَّذى لا يُنْسَى .

ونَدِمَ بعْدَ هذَا علَى ذَنْبِهِ وَإفْسَادِهِ فى الدَّوْلَة ، وَتَابَ وَأَصْبَحَ مِنْ رَعِيَّةِ الْخَلِيفَةِ المُخْلِصِينَ .

قصص عربية

(١) أيام النعمان
(٢) الملك المخدوع
(٣) فارس الشهباء
(٤) جابر العثرات
(٥) الملك الهارب
(٦) الاعتراف بالجميل
(٧) بين المأمون وعمه
(٨) من نوادر الطفيليين
(٩) عروة وعفراء
(١٠) حيلة بارعة
(١١) قاتل الأسد
(١٢) زعيم الصعاليك
(١٣) عند ملك الصين
(١٤) جزاء الاحسان
(١٥) حلة النعمان
(١٦) قاضى الكوفة
(١٧) فتح بيت المقدس .

الثمن ٢٥٠ مليما

[redacted]

دار مصر للطباعة